مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

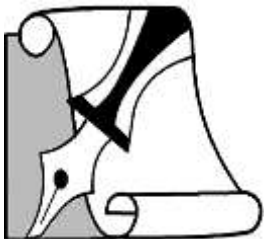

باحث للدراسات

الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

١ . إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

٢ . الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

٣ . بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

٤ . إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

المواجهة الإيرانية الإسرائيلية في سوريا

١- مدخل:

إن بؤرة الخطورة الدائمة على الوطنين العربي والإسلامي إنّما تكمن في وحدة المواقف والمصالح الحيوية والاستراتيجية الأميركية/ الإسرائيلية التي انطلقت منذ خمسينيات القرن الماضي ثم توطّدت بعد العام ١٩٦٧ وصولا إلى العام ١٩٧٣ ومن ثم تفاقمت في مرحلة ما بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣ وبعد أحداث أيلول عام ٢٠١١ في نيويورك، الأمر الذي اعتبرته الحكومة الصهيونية فرصتها الذهبية لتحقيق مشروعها التاريخي في التوسّع وتجزئة المنطقة وشرذمتها وتمزيقها إلى كيانات مذهبية وإتنية هزيلة كي تتم لها السيطرة التامة والدائمة عليها من النيل إلى الفرات (بوش أهدى شارون في أثناء زيارة له لواشنطن خارطة تمثّل الأطماع الصهيونية التي تصل إلى بابل وهي خارطة يهودية قديمة سرقت من المتحف العراقي بعد احتلال بغداد).

لذلك، فالتهديدات الأميركية/ الإسرائيلية لسوريا منذ ذلك الحين كانت جزءًا من حرب استراتيجية طويلة المدى على الوطنين العربي والاسلامي لاسيما ماسُمّي بمحور "الدول المارقة" والمقصود بها محورالمقاومة والرفض للاستغلال والاستعمار والمتمثل في إيران وسوريا وفصائل المقاومة وصولاًإلى اللاعبين الروسي والصيني. فالولايات المتّحدة أحدثت تغييرات أساسية في أوروبا وآسيا بعد سقوط الاتحاد السوفياتي في مطلع تسعينيات القرن الماضي، وباحتلالها العراق عقدت العزم على إحداث تغييرات أساسية في الوطن العربي ومنطقة الشرق الأوسط بدون موارية تحت شعار الشرق الأوسط الجديد واستراتيجية الفوضى الخلاقة. وعنوان هذه التغييرات، كما ادّعت زيفا وزورا هو نشر الديموقراطية ونشدان الاستقرار "الإقليمي والدولي"!!. ومن أجل ذلك عملت على تغيير عدد من الأنظمة والحكومات وإزالة أسلحة الدمار الشامل من الأيدي العربية والإسلامية فقط تحت ذريعة مكافحة الإرهاب الذي صنعته هي بأيديها وأيدي حلفائها الاقليميين والدوليين، ذلك أن الاستقرار الإقليمي في التصور الأميركي/ الصهيوني إنّما يعني أولاً وأخيراً أمن الكيان على حساب سيادات دول المنطقة كلها وأمن شعوبها. فيما الاستقرار الدولي في التصور الأميركي يعني الأمن والاقتصاد لأميركا على حساب سيادات ومصالح دول العالم وأمن شعوبها.

وتوفير الأمن للكيان الصهيوني يعني فرض أمنه على كل الدول العربية المحظّر عليها امتلاك الأسلحة المتطورة ليبقى الكيان الجهة الوحيدة في المنطقة التي تمتلك أسلحة الدمار الشامل بكل أشكالها وأنواعها. بالتالي إن فرض الأمن الإسرائيلي على المنطقة يعني حكماً فرض السلم الإسرائيلي والاستسلام العربي وتصفية القضيّة الفلسطينية برمّتها وصولاًإلى التوطين والترحيل وقيام الكيان المذهبي العنصري اليهودي التوراتي في أرض فلسطين التاريخية. كذلك فإن الأمن لأميركا يعني، بدوره، فرض تفوّق أمنها على دول العالم بأسره لتبقى الدولة الوحيدة التي تهيمن على مصادر الطاقة وتمتلك قوة التدمير النووي الشامل.

وفرض الأمن الأميركي على مستوى العالم يعني حكماً فرض السلم الأميركي فيه أي فرض التسليم لها بالقيادة الأحادية القطبية. أما مكافحة الإرهاب في الحساب الأميركي/ الصهيوني فتعني القضاء على "الانتفاضة" في فلسطين وتصفية "حماس" و"الجهاد" وسائر فصائل المقاومة الفلسطينية، وتعني القضاء على الدعم الايراني الفعال لكل من "حزب الله" في لبنان ومقاومة الحشد الشعبي في العراق ومن ثم تخريب سوريا بقيادتها التحررية النضالية برئاسة الرئيس الراحل حافظ الاسد وابنه المقاوم الرئيس بشار الاسد.

وبعد، ففي حال تحقّق كل هذا ماذا سيبقى للعرب والمسلمين سوى الرضوخ النهائي للاحتلال الصهيو اميركي ومندرجاته السياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية والأمنية؟!

لقد طورت إدارة بوش الابن جدول الأعمال الأميركي المعد لغزوالمنطقة منذ بداية التسعينيات. وقبل أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ راحت تعدّ نفسها وتضع خططها للاحتلالات الخارجية. ومركز الاحتلال الأوّل أرادته في قلب آسيا (افغانستان) ومنه انطلقت في اتجاه العراق وهددت باستكمال مسيرتها في اتجاه سوريا وايران. وكل ذلك من أجل تحقيق هدفين ينطويان على مخاطر تهدد مستقبل الوطنين العربي والاسلامي:

١- وضع اليد على النفط في استراتيجية السيطرة على مصادر الطاقة في العالم.

٢- حماية أمن الكيان الصهيوني في استراتيجية التصفية النهائية للقضية الفلسطينية وفرض الاستسلام على العرب منفردين ومجتمعين وتمكين هذا الكيان من أن يصبح هو المركز والمحور في نظام إقليمي جديد تتحلّق حوله أنظمة وحكومات عربية تابعة وضعيفة.

وقيام النظام الإقليمي الجديد استدعى تجويف المؤسسات العربية الجامعة والعمل العربي المشترك، وفي طليعتها الجامعة العربية. وكانت أولويات إدارة بوش الابن:

- احتلال العراق والسيطرة على النفط العراقي
- تصفية الانتفاضة الفلسطينية
- فرض الاستسلام على الفلسطينيين والعرب
- تسييد الكيان الصهيوني على الوطن العربي المجزّأ.

وقد تمكّنت أميركا من احتلال العراق وسرقة نفطه وراحت تسعى، بمساعدة الكيان الصهيوني وبعض الأنظمة والحكومات العربية التابعة والعميلة، إلى إنجاز ما تبقّى.

ومنذ البداية كان مقدراً في نظر المحلّلين والاستراتيجيين الأميركيين والاسرائيليين قبل غيرهم أن الحرب لن تتوقّف باحتلال العراق بل ستنتقل إلى سوريا ولبنان ومصر وايران كما كانت ترغب حكومة شارون.

وبهدف تحقيق هذه الأولويات رفعت الولايات المتحدة زورا وكذبا شعار الحرب على الإرهاب وشعار الإصلاح والديموقراطية وصون الحريات وتحقيق السلام والتنمية وحماية حقوق الانسان لشعوب المنطقة!!.

لقد شنّت الإدارة الأميركية حربها على الوطنين العربي والإسلامي تحت هذه العناوين الزائفة والمضلّلة التي استجمعتها المبادرة التي قدمها وزير الخارجية كولن باول في العام ٢٠٠٢ بعنوان: "مبادرة الشراكة من أجل الديموقراطية والتنمية" و"المذكّرة التنفيذية" الملحقة بها والتي تنصّ على أن التغيير يبدأ في بداية العام ٢٠٠٣ وينتهي في مرحلته الأولى عام ٢٠٠٦.

ومنذ شباط ٢٠٠٣ قال ريتشارد بيرل، المستشار السياسي للبنتاغون حينذاك، أنّه "يأمل أن يستمر التغيير من العراق إلى سوريا، ويأمل أن ينظر الرئيس السوري بشار الأسد في إجراء إصلاحات حتى لا يكون الهدف التالي".

وفي ٦/١١/٢٠٠٣ أعلن الرئيس بوش "إستراتيجية الحرية" في المنطقة وذكر فيها أن أميركا تبنت "إستراتيجية مستقبلية للحرية في الشرق الأوسط" وفيها توجه بعبارات قاسية إلى سوريا: "زعماء سوريا خلّفوا تركة من التعذيب والقمع والبؤس والخراب". وكل هذا الضغط على سوريا إنما يعود إلى أنها، وفق ما قالته

كوندوليسا رايس، "تشكّل عقبة أمام تغيير المنطقة" وإلى أنّها "لم تحاسب ويجب محاسبتها" – قانون محاسبة سوريا.

من هنا يتأكّد أنّ المخاطر التي حملتها التهديدات الأميركية/ الإسرائيلية لسوريا كانت من الأساس تتجاوز سوريا إلى كل دول المنطقة خاصة المعارضة والثورية المسماة "مارقة"، وهي تكمن في الخلفية الإستراتيجية التي انطلقت منها هذه التهديدات وهي: تغيير المنطقة وفقاً للإستراتيجية الكونية للولايات المتّحدة التي أسهم في وضعها كيسينجر وهانتنغتون وبريجينسكي وذلك منذ العام ١٩٨٨، وانسجاما مع ما ورد في كتاب ويسلي كلارك، مرشّح سابق للرئاسة الأميركية عن الحزب الديموقراطي، الذي هو بعنوان: "كسب الحروب الحديثة" حيث (كشف عن وجود خطّة تستهدف سوريا ولبنان والسودان وايران والصومال في إطار الحرب الشاملة على ما تسمّيه إدارة بوش الإرهاب والأنظمة المارقة)، وكذلك وفقاً لخطاب الرئيس بوش بتاريخ ٢٩/١/٢٠٠٢ حيث (صنّف الدول ما بين "دول مارقة" يتشكّل منها محور الشر: العراق وإيران وكوريا الشمالية، وما بين دول راعية للإرهاب ومنها سوريا). ويضاف إلى ما تقدم الوثيقة التي أعدّها البنتاغون ونشرتها الصحف الأميركية في آذار ٢٠٠٢ (وتضمّنت نقطة مهمّة تتعلّق باستخدام الأسلحة النووية ضد سبع دول، بينها سوريا).

في الخلاصة أن كل ما يحدث الآن وما هو متوقّع حدوثه في الوطنين العربي والإسلامي والمنطقة بكاملها ليس بجديد في الموقف الأميركي الصهيوني المشترك. وهو لا ينفصل عن أهداف هذا الموقف وفي رأسها السيطرة المباشرة على منطقة الشرق الأوسط لأنّها تحتوي على ٦٥% من الاحتياطي النفطي العالمي ولأن فيها أنظمة رافضة لأداء وظيفة حراسة الأمن القومي الإسرائيلي والمصالح الأميركية الحيوية، وساعية إلى بناء ذاتها وتحقيق توازن عسكري استراتيجي مع محور الشر الحقيقي الاميركي– الصهيوني.

٢ – سوريا ميدان المواجهة الأصعب:

التعثّر الأميركي في العراق إلى حدِّ الفشل أضعف الضغط على سوريا فألقت أميركا على عاتقها تبعة المواقف الصعبة التي واجهتها في العراق. بالتالي عمدت إلى مهادنتها، ذلك أن دمشق كان لها الدور الأبرز في تهدئة الوضع في جنوب لبنان، وكان لها الدور الأفعل في شؤون العراق وتشكّلاته الداخلية، وكان لها

الدور الذي لا يقل أهمية في الوضع الفلسطيني وشؤون الانتفاضة، وكان لها الدور الأكثر قدرة على لجم الإرهاب الديني والسياسي.

هذا ما أدركته جيّداً واشنطن التي كثّفت زيارات موفديها إلى العاصمة السورية إقراراً منها بذلك. وعليه، فإن التعاون مع سوريا كان البديل المتاح آنذاك أمام إدارة بوش بعد تصاعد التحدّيات التي واجهتها في العراق بفعل المقاومة والرفض الشعبي الشامل للاحتلال. لذلك، على الرّغم من إقرار قانون محاسبتها في مجلسي النواب والشيوخ فإن الضغوط عليها انحسرت والمطالب الأميركية اقتصرت فقط على "دور إيجابي" لسوريا في القضيّة العراقية لأن استقرار الوضع في العراق شكّل أولوية الأولويات في اهتمامات الادارة الأميركية.

في هذا السياق كتب سمير صنبر، المسؤول الإعلامي السابق في الأمم المتّحدة. "في ضوء تطوّر الوضع في العراق سيتقرّر مصير المنطقة. فالرهان الأميركي كبير وخطير وجدّي في العراق، فإن هي نجحت فيه تحصل تحوّلات كبيرة في المنطقة وإن هي فشلت فسوف ينتج عن ذلك مضاعفات وانتكاسات".

ما كان واضحاً هو أنّ جيش الاحتلال غرق في الرمال العراقية. وساحة المواجهة في العراق بين الاحتلال والمقاومة قد عسّرت "الحروب الأميركية" التي كانت قد أعدّتها إدارة بوش لعدد من دول المنطقة وفي مقدّمها الدولة السورية. وبالتالي فإن سقوط المزيد من القتلى في صفوف جيش الاحتلال، فضلاً عن تنامي المعارضة الشعبية في داخل أميركا وفي ساحات العالم كلّه "للحروب الأميركية" المتنقّلة على خلفيّة التوسّع الإمبراطوري، حمل هذه الإدارة على إعادة النظر في تلك الحروب وجدواها. ومنها، بالطبع والتأكيد، حرب "ضرب الأعناق" في سوريا فاقتصر الأمر فقط على تأجيل الحرب عليها.

أما بالنسبة للتهديدات الإسرائيلية لسوريا فقد تجاوزت حدّ التهديد إلى العدوان العسكري المباشر. لأن التهديدات لا تشبع حاجة "إسرائيل" في أي زمن، وما يشبعها هو الحروب الدائمة. والعدوان على "عين الصاحب"، قرب دمشق، كان أوّل عدوان إسرائيلي على الأراضي السورية منذ العام ٢٠٠٣. وهذا العدوان جاء ليؤكّد أن مشروع الحرب الدائمة هو الحاكم الفعلي في الكيان الصهيوني. والحرب هي حاجة دائمة لإنقاذ هذا المشروع وهذا الكيان. فالحرب تحرر الكيان وحكوماته من الاختناقات الداخلية، بحيث أن المجتمع الصهيوني غرق في حالة من الذعر والاستنزاف الداخلي وراح يشهد هجرات معاكسة متصاعدة. فكيف لحكومات الكيان أن تجد له ولها مخرجاً من كلّ هذه الاختناقات بدون حرب أو بدون نقلها إلى خارج "الكيان"؟

إرهاب الدولة لم يعد كافياً ولم يحقّق أغراضه في خنق الانتفاضات الفلسطينية. ونسبة عالية من الشعوب الأوروبية وبرلماناتها في دول مؤيّدة تقليدياً لهذا الكيان باتت تعتبر الدولة الصهيونية خطرا على السلام العالمي كما أظهر أحد استطلاعات الرأي في تشرين الأوّل ٢٠٠٣ على الرغم من تحكّم الصهاينة بكبريات وسائل الاعلام العالمية. فكيف كان لحكومة الكيان أن تواجه هذه المصاعب إلا باستغلال مفاعيل الاحتلال الأميركي للعراق والرهان على تفعيل الخطط الحربية الأميركية المرسومة لمرحلة ما بعد هذا الاحتلال لتطال أعداء "إسرائيل" الحقيقيين مثل سوريا وإيران والمقاومة؟ وفي هذا السياق كتبت "هآرتس" ما يلي: "إن أمل وزارة الدفاع الإسرائيلية هوفي أن يتوجّه المدفع الأميركي من العراق إلى سوريا وحزب الله وإيران". فبعد العدوان على "عين الصاحب" المرخّص أميركياً بشعار الحق في الدفاع عن النفس، كما أعلن الرئيس بوش، لم يوفّر شارون أيّ فرصة للتحرّش بسوريا ولبنان وفتح الجبهة الشمالية. فالجبهة، باعتقاده، باتت مستباحة. والعدوان على سوريا ولبنان يمكن أن يتكرّر بأشكال متعدّدة.

حكومة الكيان التي لم تتمكّن من توفير الأمن لمواطنيها بالقضاء على الانتفاضة وإحداث الفتنة بين الفلسطينيين، والتي هزمت في لبنان والتي لم تتمكّن من إخضاع سوريا لشروط السلم الذي أرادته وتريده، بعد احتلال العراق اعتمدت على الأميركيين لتحقيق ما لم تتمكّن من تحقيقه بنفسها، وأرادت الإفادة من هذا الاحتلال لتوسيع أرض المواجهة فأمعنت في التحريض على سوريا. ومن قبيل هذا التحريض وصف شارون للرئيس السوري بأنّه "خطير" وقوله أنّ سوريا وإيران هما مصدر المتاعب الأميركية في العراق ومصدر المتاعب الإسرائيلية في جنوب لبنان.

من خلال هذا التحريض حاول شارون إقناع الإدارة الأميركية بأنّها وحدها تستطيع الإمساك بأمن مصالحها في المنطقة بشرط أن تترك له حرية "التصرّف" بالشكل المناسب مع إيران وسوريا ولبنان على قاعدة تكامل الموقف الأميركي/ الإسرائيلي في حدّه الأقصى وهو: (نعم للعدوان) ووحدة موقف في حدّه الأدنى (لا للحرب الشاملة). وبهذا تكون إدارة بوش قد انتقلت من موقع الانحياز الدائم إلى الكيان الصهيوني إلى موقع الشراكة الكاملة في العدوان على سوريا. بتعبير آخر إن إدارة بوش لم تقرأ في مشهد المنطقة سوى عنوان واحد: النفط لأميركا والأمن لإسرائيل. وحكومة الكيان حاولت استغلال هذه الشراكة بهدف اقتسام الهيمنة على

ثروات المنطقة ومصائر شعوبها فشنّت حربا عسكرية على سوريا ولبنان وحرب إبادة على فلسطين وشعبها وسعت إلى أن تجد لها موطئ قدم في أرض العراق.

هذه الشراكة فرضت، منذ الاحتلال الأميركي/ البريطاني للعراق واستمرار شارون في حرب الإبادة على الفلسطينيين، حالة حرب ومواجهات مفتوحة ومتنقّلة ما حدا على السؤال: هل إسقاط النظام السوري بالقوّة العسكرية بات قراراً أميركياً وارداً تنفيذه إشباعاً لضرورات صهيونية؟

وعلى الرّغم من وفرة المتحمّسين لهذا القرار بدا أنّ الأميركيين من خلال تعاملهم بمنطق مزدوج مع سوريا كانوا يتطلّعون دائماً إلى حوار معها فلم تنفجر الأوضاع على الجبهة الشرقية/ الشمالية كما كان يشتهي شارون. ولكن ما شجّعه على معاودة العدوان على سوريا قول بوش إنّ ما قامت به إسرائيل هو دفاع شرعي عن النفس، وتعطيله لقرار مجلس الأمن بإدانة العدوان.

الولايات المتحدة بعد أن بدأت تعيش ورطة حقيقية في العراق لم تشأ مجاراة الكيان في الضغط على سوريا أكثر من اللزوم وبالتالي لم تسمح بإشعال حرب إقليمية تقودها إلى المزيد من التورّط في رمال المنطقة وإلى المزيد من الخسائر البشرية والمادية. فالموقف الأميركي، في بعده وفي عمقه، كان موقف ضغط أكثر ممّا كان مخطّط حرب شاملة على سوريا في تلك المرحلة. ومع ذلك لم يكن هذا التباين المرحلي والتكتيكي بين الموقفين الأميركي والإسرائيلي بمثابة تناقض.

وعليه، ظلّت المنطقة رهن التجاذب بين تداعيات الاحتلال وعمليات التحرير والتهديد بالحرب الأميركية/ الإسرائيلية الشاملة. من هنا بدأت مرحلة جديدة في المنطقة. ونقطة البداية فيها تعويل الحكومة الصهيونية على وحدة الموقفين الأميركي والإسرائيلي من إيران وسوريا ولبنان ظنّاً منها بأنّ ضربة موجعة لهذه الدول الثلاث تسهّل عليها تنفيذ مشروعها في كامل فلسطين وتسهّل على الأميركيين تنفيذ مخطّطهم كاملاً في العراق والمنطقة. واستعداداً منها لهذه الضربة الموجعة اقترح رئيسها شارون، في حينه، على إدارة بوش دوراً لـ "إسرائيل" في الحملة الأميركية على "النقاط العاصية" أو "البؤر غير المندمجة" في سياق ما تسميه حربها على الإرهاب!

٣ – تطور المواجهة:

مرّت العلاقات بين إيران و"إسرائيل" تاريخياً بمحطات مختلفة تراوحت بين التحالف والعداء، لكن يمكن القول إن التنافسية والعداء والخصومة سادت بين الطرفين واستمرت بشكلٍ مطّرد ومتصاعد منذ انتصار الثورة الاسلامية عام ١٩٧٩ وحتى يومنا هذا.

لقد ساد اعتقاد لدى مؤسس الدولة الصهيونية"دافيد بن غورين" منذ عام ١٩٤٨ وبسبب الدخول في صراع مع الدول العربية آنذاك، أنه لابدّ من إقامة علاقات مع دول أخرى في المنطقة غير عربية لتعديل ميزان الصراع لصالح الكيان، كما أن إيران في ظل حكم الشاه بهلوي كانت مرتابة من تصاعد القومية العربية بقيادة الرئيس المصري جمال عبد الناصر، الأمر الذي أوجد نقاط تقاطع مشتركة ما بينها وبين تل أبيب خاصةً أن الطرفين يحظيان بدعم أمريكي مميز، ممّا سهل إقامة علاقات متينة ما بينهما. وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران ووصول الإمام الخميني إلى حكم البلاد عمد إلى إلغاء كل الاتفاقيات السابقة مع "إسرائيل"، وأرسل في عام ١٩٨٢ ضباطاً من الحرس الثوري لدعم قوى المقاومة (التي عرفت لاحقاً باسم حزب الله) لصدّ العدوان الصهيوني الأميركي على لبنان ولدحر الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب اللبناني حيث استمر الصراع حتى عام ٢٠٠٠ عندما أعلنت "إسرائيل" هزيمتها المدوية وخرجت بلا قيد ولا شرط من الجنوب اللبناني.

بعد انتهاء الحرب العدوانية المفروضة على الجمهورية الإسلامية في إيران من قِبَل نظام صدام حسين ومؤيديه من العرب والأجانب في عام ١٩٨٨ اعتبرت "إسرائيل" أن إيران في ظل حكم الإمام الخميني هي الخطر الأكبر عليها، ووصف رئيس حكومتها مناحيم بيغن نجاح الثورة في حينه بأنه بمثابة الزلزال الأكبر، لاسيما بعد ضعف العراق على خلفية عملية عاصفة الصحراء التي شنّتها أمريكا ضد النظام العراقي في عام ١٩٩١. واستمر العداء المتبادل بين الجمهورية الإسلامية والكيان الغاصب في صورة ما سمّي بـ"الحرب بالوكالة"، عن طريق دعم "إسرائيل" لإقليم كردستان العراق، وحزب العمال الكردستاني من أجل إزعاج إيران والتشويش على أمنها، في حين بادرت الأخيرة إلى دعم كل أشكال المقاومة لأميركا والعدو الصهيوني في المنطقة خاصة لناحية تطوير المنظومة الصاروخية لحزب الله الموالي لها في لبنان وعلى تخوم الأراضي الفلسطينية المحتلة، كما عكفت على تبنّي دعم حركات المقاومة الفلسطينية لاسيما حماس والجهاد الإسلامي.

٤ –الضربات المباشرة:

بدأت الضربات الإسرائيلية المباشرة على شحنات أسلحة وصواريخ وقواعد إيرانية في سوريا منذ عام ٢٠١٢، لكن يمكن أن نلحظ تصاعدها منذ أواخر عام ٢٠١٧ وفي النصف الأول من عام ٢٠١٨ حتى أنها صارت شبه اعتيادية الحدوث، وأصبحت تلحق خسائر بشرية في صفوف ضباط وعناصر الحرس الثوري الإيراني. وقد استهدفت "إسرائيل" من تلك الضربات تدمير شحنات الصواريخ التي باتت تعبر من إيران إلى حزب الله سواء في سوريا أو لبنان، والتي ارتفعت كمّيتها إلى نحو مئة وخمسين الفا، بعد فتح الطريق بين طهران وبغداد ودير الزور ودمشق إلى البحر المتوسط في بيروت، الأمر الذي زاد نسبة مخاوف "إسرائيل" وباتت أكثر جدّيّة في وقف تدفّق تلك الصواريخ التي من الممكن أن تشكل تهديداً حقيقيا لها.

وقامت إيران في عام ٢٠١٧ باستقدام قاعدة إطلاق طائرات بدون طيار من نوع "دراون" ونصبتها في مطار T4 بحمص، وقد انطلقت منها الطائرة التي اخترقت أجواء الجولان المحتل في شباط ٢٠١٨. بالتالي باتت تل أبيب تنظر بقلق أيضاً إلى استمرار استقدام إيران بطاريات صواريخ دفاع جوية إلى سوريا ونشرها بالجنوب في درعا وريف القنيطرة وريف دمشق. ويمكن القول من خلال تتبّع النهج الإسرائيلي والضربات العسكرية وتصاعدها خلال العام الأخير، إن إشكالية تل أبيب لا تكمن في فكرة التواجد الإيراني بسوريا بشكل عام، وإنّما في إمداد التنظيمات المدعومة إيرانياً بصواريخ تهدد أمن الكيان، وكذلك باستقدام أسلحة نوعية تفوق حاجة النظام السوري في مواجهة الفصائل الارهابية، ممّا يرجح أنه تمّ استقدامها تحسّباً لمواجهة أكبر من مجرد عمليات ضد فصائل محدودة التسليح.

٥ – الموقف الروسي يكشف ظهر إيران في سوريا:

تلقّت إيران خلال الحقبة الماضية رسائلَ غيرَ مطمئنةٍ تتعلق بالموقف الروسي من الصراع بين طهران وتل أبيب، حيث سبق الضرباتِ الإسرائيليةَ على القواعد الإيرانية لقاءٌ جمع بين" بنيامين نتنياهو" والرئيس الروسي "فلاديمير بوتين"، واقتصر الموقف الروسي الرسمي على "دعوة الجانبين لضبط النفس"، كما أعلنت روسيا عقب زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى موسكو أنه لا يوجد مفاوضات فعلية حول تسليم النظام السوري منظومة الدفاع الجوي (إس ٣٠٠) في خطوة تشير إلى التراجع عن التصريحات السابقة، وقلّل "نتنياهو" من احتمالية التحرّك الروسي لوقف الضربات الإسرائيلية في سوريا. وينطلق الموقف الروسي بما يتعلق بالتطورات

المتصاعدة بين إيران وإسرائيل من سعي موسكو لتأمين مصالحها في منطقة البحر المتوسط وحوضه الغني بحقول الغاز، وتتجسّد المصالح الروسية بالسيطرة على "غاز المتوسط" بالحفاظ على أسواقها الأوروبية، الأمر الذي يحقق لها فائدة اقتصادية تجعلها في قمة المصدِّرين للطاقة، وكذلك يضمن لها استمرار التضييق على محاولات أوروبا التخلّص من الهيمنة الروسية على ملف الغاز، وبالتالي إفقاد الروس لورقة ضغط سياسية مهمة سبق وأن استخدمتها ضد الاتحاد الأوروبي في أزمة أوكرانيا عام ٢٠٠٩ ، ولوحت بها في أزمة "شبه جزيرة القرم" عام ٢٠١٤، ولأن روسيا تعرف التأثير الإسرائيلي في المياه الدافئة (البحر المتوسط) فإنها تتحرك فيما يبدو بخطوات أقرب للاعتراف بمصالح تل أبيب، خاصة مع هدوء جبهات القتال في سوريا وتراجُع أهمية دور المنظمات المدعومة إيرانياً في المعارك الميدانية ضد الفصائل العسكرية الارهابية في سوريا، وعلى هذا الصعيد يُحكى عن اتجاه الروس لإحداث ميليشيات تتبع بشكل مباشر لها بقيادة "سهيل الحسن"، وتعتمد على العلويين السوريين. وقد عبَّرت وسائل إعلام شِبه رسمية إيرانية وروسية في مناسبات مختلفة عن مخاوف متبادَلة من أن تستأثر إحدى الدولتين الداعمتين للنظام السوري بالموارد والنفوذ في سوريا على حساب الأخرى.

٦ – استراتيجيات المواجهة الاسرائيلية:

تجمع دوائر الدراسات الاستراتيجية الغربية على أن التضاد الاستراتيجي بين إيران و"إسرائيل" في المنطقة هو تضاد حقيقي وفي كل أبعاده ويقوم على النقاط والاحتمالات التالية:

١. استراتيجية الثمن الأقل: وتعني دفع أطراف أخرى لمواجهة العدو وتدميره أو استنزافه بدعم إسرائيلي ومن دون مشاركة مباشرة، وتتمثل هذه الأطراف في الظروف الحالية في طرفين هما: الولايات المتحدة ودول الخليج، وكان الكثير من الدراسات الإسرائيلية وبعض الدراسات الغربية يراهن قبيل الربيع العربي وخلاله على مواجهة تركية إيرانية، لكن ظروف الأزمة السورية وملابساتها أضعفت هذا الاحتمال بقدر كبير.

وفي إطار هذا السيناريو فإن الطرف الإسرائيلي يسعى –وعبر اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة وفي بعض الدول الأوروبية– إلى تعزيز جهود الرئيس ترامب لنسف الاتفاق النووي مع إيران، وفي حالة خروج الولايات المتحدة من الاتفاق سيتصاعد الخلاف مع أمريكا ممّا يخلق فرصة للمواجهة لا سيما أن ظروف

ترامب الداخلية، من اضطراب إداري وضغوط موضوع التدخل الروسي في الانتخابات لصالحه، تغريه بصرف الأنظار وامتصاص الأزمات الداخلية بمواجهة من مستوى معين مع إيران، وهو ما سيؤدي لخسائر إيرانية باهظة تضعفها وتضعف حلفاءها دون خسائر إسرائيلية تُذكر إلاّ من بعض الدعم اللوجستي للقوات الأمريكية، أي تكرار نموذج تدمير العراق دون خسائر إسرائيلية تذكر.

البديل الثاني لإسرائيل في سياق استراتيجية الثمن الأقل هو استثمار العداء الخليجي –بقيادة السعودية– لإيران لا سيما في ظل وجود قيادة سعودية شابة يسهل التلاعب بسيكولوجيتها من قبل خبراء هذا الميدان، ناهيك عن ثقافتها الغرائزية ونقص خبرتها بتعقيدات العالم. فإذا تكاتف الضغط الأمريكي والغواية الإسرائيلية للخليج بالوقوف إلى الجانب الاميركي الاسرائيلي، فقد يتم اتّخاذ القرار بمواجهة عسكرية مع إيران يتم فيها تدمير متبادل عربي إيراني، وسيبقى الشحن الإعلامي أحد الوسائل لخلق البيئة المناسبة للمواجهة، مع احتمال تدبير أو افتعال حدث (كتفجير قوي او اغتيال مسئول أو سفير خليجي أو إيراني) ليكون صاعق التفجير للمواجهة العربية الإيرانية وبأقل الخسائر ل "إسرائيل".

٢. استراتيجية الثمن المتوسط: تقوم استراتيجية الثمن المتوسط الإسرائيلية على «النهش المتواصل» لحلفاء إيران في المنطقة العربية، بنهش لبناني لحزب الله، وهجمات إسرائيلية بين الحين والآخر على الجيش السوري أو حزب الله في سوريا، وبنهش سعودي لأنصار الله في اليمن، وبضغوط على هيئات المجتمع المدني البحريني ممّا يُتّهم منها بعلاقات أو تعاطف مع إيران، أو من خلال صلات غامضة مع حركات معارضة إيرانية، سواء من الأكراد أو في بلوشستان أو في الخارج «مريم رجوي زعيمة مجاهدي خلق»... إلخ.

وتتيح هذه الاستراتيجية ل "إسرائيل" على المدى البعيد إنهاك إيران من ناحية وتجنّبها مخاطر المواجهة الشاملة من ناحية ثانية، ناهيك عن أنها توفر لها فرصة تعميق تغلغلها في السياسات العربية لمزيد من التطبيع السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وبالتالي توظيف العداء العربي لإيران لصالح انفتاح عربي إسرائيلي. ولعل فكرة إرسال قوات عربية إلى سوريا –رغم هشاشتها– هي جزء من هذه الاستراتيجية لخنق النفوذ الإيراني بنفقات عربية وبمكاسب أمريكية على حساب إيران وروسيا.

٣. استراتيجية المقامرة: ويبدو أن هذه الاستراتيجية هي الأقل جاذبية لصناع القرار الإسرائيلي، لاسيما أن الوجود الإيراني في سوريا ومخزون الصواريخ لدى حزب الله في لبنان واحتمال جرّ غزة لهذه المواجهة قد

يجعل العمق الإسرائيلي تحت وابل من النيران التي قد تصيب الداخل الإسرائيلي بخسائر بشرية لا تحتملها بنيات المجتمع الإسرائيلي الهشّة.

ولعل إشارة عدد من القيادات الإيرانية لافتقاد "إسرائيل" العمق الاستراتيجي مؤشر على النوايا الإيرانية في هذه المواجهة لو وقعت. وربما تأمل "إسرائيل" أن يبادر بعض العرب والأمريكيين وبعض الأوروبيين بالمساندة لها في حال وقوع هذه المواجهة، لكن ردود الفعل الروسية والصينية وربما التركية تبقى في حدها الأدنى في غير صالح "إسرائيل"، ولعل تنامي الخلاف الأمريكي التركي حول الموقف من الأكراد وحول صفقة صواريخ إس ٤٠٠ الروسية وسحب تركيا لذهبها من أمريكا وموضوع فتح الله غولن، ناهيك عن السياسات التركية تجاه الموضوع الفلسطيني، تزيد من القلق الإسرائيلي تجاه جدوى مثل هذه الاستراتيجية.

٤. استراتيجية المراهنة: ثمة تيار في إسرائيل يعتقد أن الوضع الداخلي في إيران مع استمرار الضغوط الاقتصادية والتورط في المزيد من مشكلات المنطقة واحتمالات نشوب نزاع سلطوي في مرحلة ما بعد خامنئي قد يفسح المجال لتحول استراتيجي في بنية السلطة الإيرانية واحتمال العودة لسياسات قريبة من سياسات الشاه السابقة، أو على الأقل الوصول لنظام أقل عداءً لإسرائيل، لكن تيارًا قويًا في "إسرائيل" لا يشاطر هذه الاستراتيجية الرأي، بينما يتوزع أغلب الاستراتيجيين الإسرائيليين على الاستراتيجيات الثلاث السابقة.

هذا يعني أن الاستراتيجية الأنسب ل "إسرائيل" في المدى القصير –حتى نهاية فترة ترامب– هي الاستراتيجية الأولى، لكن مخاوفها من احتمالات غياب ترامب –عزلًا أو اغتيالًا– يضغط عليها نحو تبنّي الاستراتيجية الثانية أو الثالثة. وتبقى «ربما» قائمة في منطقة ينقص كثير من سياساتها التفكير العقلاني، فقد يؤدي غياب حاكم عربي الى تحول استراتيجي في توجهات الدولة وربما المنطقة كلها.

٧ – حدود المواجهة المحتملة:

يقال أن روسيا و"إسرائيل" قد توصّلتا إلى اتفاق مبدئي بتحجيم دور إيران وإخراج قواتها من سوريا وسط خلاف على التوقيت. وقيل أن الاتفاق المبدئي جاء خلال زيارة وزير الدفاع الإسرائيلي، أفيغدور ليبرمان، لموسكو وإجرائه محادثات مع نظيره الروسي، سيرغي شويغو. وقد أشارت صحيفة "يديعوت أحرنوت" إلى أن الطرفين اتفقا على خروج إيران من سوريا، لكن روسيا ترى أن مسألة الخروج تحتاج إلى وقت وترتيبات،

وتقترح إبعادا جزئيًا من الجنوب فقط،في حين يصرّ رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، على خروج إيران وقوى المقاومة المؤيدة لها من سوريا بشكل فوري. وأجرى نتنياهو اتصالًا مع نظيره الروسي، فلاديمير بوتين أطلعه فيه على آخر المعلومات الاستخباراتية عن التموضع العسكري الإيراني في سوريا، بحسب الصحيفة. وعقب ذلك علّق ليبرمان على نتائج المباحثات، عبر حسابه في "تويتر"، بالقول إن "الدولة الإسرائيلية تقدّر تفهّم روسيا لاحتياجات إسرائيل الأمنية، وخاصة فيما يتعلق بالوضع على حدودنا الشمالية". وأضاف "سنواصل الحوار مع روسيا حول جميع القضايا ذات الصلة".

صحيفة "الشرق الأوسط" نقلت عن مصدر روسي بأن التفاهم الروسي– الإسرائيلي ينصّ على انسحاب إيران ٢٠ كيلومترًا عن المنطقة الحدودية. وقال المصدر إن المشكلة بين الطرفين تكمن في الوجود الإيراني في العمق السوري وليس في مسافة ٢٠ كيلومترًا. وأضاف أن تل أبيب وضعت مطلبًا أمام روسيا هو انسحاب إيران إلى مسافة ٦٠ إلى ٧٠ كيلومترًا بشكل تدريجي، في منطقة تمتد من مجدل شمس إلى ما بعد دمشق بقليل، ومن جهة الجنوب من الحدود المشتركة مع الأردن إلى السويداء تقريبًا. كما منحت روسيا الضوء الأخضر لـ "إسرائيل" لتنفيذ عمليات عسكرية محدودة في سوريا بحال تعرّض أمنها للخطر، بشرط ألاّ يؤثر ذلك على قدرات النظام السوري أو استهداف مواقع النظام. وبحث الطرفان، بحسب الصحيفة، خيارات إعادة نشر قوات فصل أمميّة على المنطقة الحدودية، في حين نص أحد الخيارات المطروحة على انتشار قوات الشرطة الروسية على الجانب السوري.

يأتي ذلك بالتزامن مع تصاعد التوتر في منطقة الجنوب، وتزايد تهديدات الدولة السورية بشنِّ عملية عسكرية ضد فصائل المعارضة في المنطقة. ولا تعارض تل أبيب إعادة بسط الرئيس الأسد سيطرته على المنطقة الجنوبية، مقابل انسحاب إيران من المنطقة.

وكان وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف قد قال إن قوات الحكومة السورية هي من يجب أن توجد على الحدود الجنوبية، في رسالة إلى إيران بضرورة الانسحاب. ولم يصدر أي رد رسمي من قبل إيران حول التفاهمات الإسرائيلية– الروسية، حتى الآن، في حين أشارت مصادر أخرى إلى أن قواتها بدأت بالانسحاب من جنوبي سوريا تزامنًا مع وصول "قوات الغيث" من الفرقة الرابعة في القنيطرة لشن عملية عسكرية ضد فصائل المعارضة المسلحة في المنطقة.

لم يكن الهجوم الصاروخي الذي نفّذه جيش الاحتلال الإسرائيلي، في شهر أيار الماضي ضد أهداف إيرانية في سوريا، الأول من نوعه، لكنه كان الأوسع نطاقاً. وكان جيش الاحتلال الإسرائيلي قد شنّ هجوماً على خمسين موقعاً إيرانياً في سوريا، تضم مراكز استخبارية وعسكرية ومخازن أسلحة ومراكز تقديم خدمات لوجستية.وجاء الهجوم بعد إطلاق عشرات الصواريخ من سوريا باتجاه مواقع عسكرية إسرائيلية في هضبة الجولان المحتلة، قالت "إسرائيل" إن مضاداتها اعترضت أربعة منها، فيما سقط الباقي داخل الأراضي السورية.

المحلل في موقع "واللا" الإخباري الإسرائيلي، "آفي ايسخاروف"، يقول في هذا الشأن، إن "إسرائيل تخشى وصول إيران إلى حدودها الشمالية، ولذلك تتحرك على كافة الصعد، بما فيها العسكرية لمنع ذلك". ويضيف: "إيران دولة ذات إمكانيات كبيرة وليست تنظيماً صغيراً، وهي تقول صراحة إنها تريد تدمير إسرائيل". وأشار إلى أن إيران "دولة تمتلك مع منظمة حزب الله مئات آلاف الصواريخ القادرة على الوصول إلى العمق الإسرائيلي". ومن وجهة نظر "ايسخاروف"، فإن إيران "تستغل حقيقة دفاعها عن نظام الأسد، في تعزيز مواقعها العسكرية هناك؛ بهدف الاقتراب من الحدود الإسرائيلية". ورأى أنه إذا "لم تتحرك إسرائيل الآن، فإن تعزيز التواجد الإيراني في سوريا سينتهي إلى حربٍ شاملة"، ولذلك سيكون التحرّك عاجلاً هو الأفضل. ويستند المحلّل إلى تقديرات إسرائيلية بوجود ما بين ٢٠-٢٥ ألف مقاتل "شيعي" على الحدود الشمالية لـ "إسرائيل"؛ بما ذلك ٨ آلاف عنصر لدى حزب الله في لبنان وسوريا، واصفاً العدد بـ"الهائل".

وكان العديد من التقارير قد تحدّث عن هجمات نفّذتها "إسرائيل" ضد أهداف لحزب الله وإيران في سوريا، لكن تل أبيب لم تعترف بها جميعاً. وفي هذا الصدد كتب "رون بن إيشاي"، في صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية، إن "سياسة الخط الأحمر الإسرائيلية، تنص على أن أي هجوم على سيادتها سيقابل برد فوري". وأشار الكاتب إلى أنه "سيتم استهداف أي نقل إيراني لأسلحة عالية التقنية يعرض السكان الإسرائيليين للخطر (..) ولن يتم التسامح مع استخدام الأسلحة غير التقليدية -النووية أو الكيميائية أو البيولوجية- ضد إسرائيل". ولفت إلى "خط أحمر إسرائيلي آخر تم تجاوزه "عبر استهداف مضادات الطائرات السورية سلاح الجو الإسرائيلي أثناء مهاجمته أهدافاً إيرانية. والهدف من الضربة الإسرائيلية كما يقول "بن إيشاي"، تمثل أيضاً في الإشارة إلى الرئيسين بشار الأسد وفلاديمير بوتين، بأن استمرار الوجود العسكري الإيراني سيضر بمصالحهما الحيوية. وأوضح أن "المناوشات المستمرة بين إسرائيل وإيران على الأراضي السورية ستدمر الجهود الرامية

إلى إنهاء فترة طويلة من الحرب السورية الدموية الداخلية، وستزيد من تأخير سيطرة الأسد، وإعادة بناء البلاد".

من جهة ثانية، أشار الكاتب الإسرائيلي، "اوفري إيلاني"، خلال مقال في صحيفة هآرتس الإسرائيلية، إلى ٣ دوافع "قد تقف خلف الهجوم الإسرائيلي على المواقع الإيرانية". وكتب "إيلاني": "ثمة من ينسب المسؤولية لإيران، معتبراً أنها تواصل العمل سراً في مشروعها النووي، أو على الأقل تحويل سوريا إلى موقعها الأمامي، والنيّة النهائية وراء ذلك تتمثل في القضاء على إسرائيل". وربط الدافع الثاني في محاولة "نتنياهو" استغلال الأمر لصرف الانتباه عن التحقيقات الجنائية الجارية ضده. ويطرح "إيلاني" تفسيراً ثالثاً يتعلق بأن "إسرائيل أصبحت قوية جداً، وفي هذه الحالة تشعر أنها مستعدة لمواجهة خصم جدير كقوة إقليمية".

عقب الحملة الجوية الواسعة التي شنّتها "إسرائيل" على مواقع إيرانية في سوريا سارع الجانبان إلى التأكيد على أنهما لا يرغبان بتوسيع المواجهة، فيما بعثت "إسرائيل" برسائل واضحة على لسان وزير دفاعها " أفيغدور ليبرمان" طالبت فيها طهران بعدم تجاوز الخطوط الحمر، كما طالبت فيها الرئيس بشار الأسد وليس إيران بإخراج الجنرال قاسم سليماني وفيلق القدس من سوريا.

وفيما يبدو فإن الضربات الإسرائيلية التي تصاعدت بشكلٍ غير مسبوق بالتزامن مع إعلان الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" الانسحاب من الاتفاق النووي هي حلقة من سلسلة تستهدف إضعاف القوة الإيرانية في سوريا، والتي يرى كل من تل أبيب وواشنطن أنها تجاوزت الحدّ المسموح به وباتت تهدد "إسرائيل" بشكلٍ مباشر، والأمر تخطّى مجرد دعم الرئيس الأسد في مواجهة معارضيه. ويمكن القول بأن إمكانية الانزلاق باتجاه مواجهة أعنف ومفتوحة أكثر بين الجانبين، تتوقّف بشكل أساسي على ردّة الفعل التي ستتّخذها إيران تجاه الضربات المتكررة لمواقعها، لكن التقديرات هي أنه من غير المرجّح أن تتّجه الأخيرة لتصعيد مباشر في ظل عدم حماسة روسيا للدفاع عن تواجدها في سوريا، وزيادة التنسيق بين نتانياهو وبوتين، وكذلك في ظل الأزمة غير المسبوقة التي تعيشها على وقع إلغاء أمريكا للاتفاق النووي وعودة العقوبات الاقتصادية القاسية، لكن يبقى سيناريو الرد على الهجمات الإسرائيلية عن طريق غير مباشر أمراً ممكناً برغم صعوبته، مما يجعل التطور الأكثر ترجيحاً هو استمرار الضربات الإسرائيلية حتى التأكّد من تدمير ما أمكن من الأسلحة النوعية التي استقدمتها طهران إلى سوريا مؤخراً، وكذلك تصاعدها مع كل محاولة إيرانية لاستخدام الأراضي السورية

كممرٍ لتمرير الصواريخ البالستية إلى حزب الله، مع محاولات إيرانية للرد عن طريق غير مباشر ضمن الظروف المتاحة. وعلى أيّة حال وبحسب التطورات المتسارعة العسكرية والسياسية فإن الدور الإيراني في سوريا والمنطقة عموماً يصطدم بتحدّيات كبيرة تسعى إلى حصره والحد منه.

٨- احتمالات الحرب:

نشرت صحيفة "جيروزاليم بوست" الإسرائيلية تحليلًا مطولًا عن سيناريوهات الحرب المحتملة بين إسرائيل وإيران حال وقوعها، في ظل تصاعد الحرب الكلامية بين الطرفين. وذكر أستاذ الدراسات السياسية والشرق الأوسط في جامعة بار إيلان، هيليل فريش، في تحليله أن احتمالات الحرب تتزايد مع تصميم إيران تحويل سوريا إلى قاعدة أمامية لعملياتها العسكرية، وتصميم إسرائيل على منعها من تحقيق ذلك.

وأشار الكاتب إلى أن الحرب بين إيران وحلفائها (حزب الله) من جانب، وإسرائيل من جانبٍ آخر، ستكون "مدمّرة" للجانبين، مع أفضليّة نسبيّة لصالح إسرائيل.

وقال رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو، في تصريحات من قبرص: "إيران تسعى لنشر أسلحة خطيرة جدا في سوريا.. لتحقيق غاية محددة، هي تدميرنا".

وبينما تعتبر "إسرائيل" تحويل إيران لسوريا إلى قاعدة متقدمة للصواريخ الموجهة بدقة خطا أحمر، فإن طهران تجد في سوريا مركزاً رئيساً لعملياتها العسكرية المباشرة ضد "إسرائيل"، بحسب فريش.

إن أي حرب جديدة،إذا ما اندلعت فعلا، ستغيّر قواعد الاشتباك التقليدية، التي فرضتها حرب عام ١٩٧٣، آخر الحروب العربية مع "إسرائيل"، وستؤسّس لبداية نوع جديد من الحروب العابرة لأكثر من دولة. فمعظم الحروب، التي نشبت في العقود الأربعة الأخيرة كانت بين الجيش الإسرائيلي وجيوش نظامية، لكن الحرب مع إيران سيشارك فيها خليط من الوكلاء (حزب الله) والدول (إيران وسوريا). ويرجع الكاتب احتمال مهاجمة إيران ل "إسرائيل" مباشرة إلى سببين رئيسين: الأول عدم قدرة صواريخ "حزب الله" الموجّهة على ردع تل أبيب من معاودة مهاجمة البنية التحتية العسكرية الإيرانية في سوريا. وتستدعي خطوة كهذه ردا إسرائيليا مباشرا ضد إيران، وهو سيناريو تحسب له إيران ألف حساب. والثاني، إدراك إيران أن حزب الله قد أُنهِك في حرب ٢٠٠٦، والآن يُستنزَف في الحرب السورية، وهو عامل آخر يضع إيران أمام سيناريو صعب لخوض

الحرب بمفردها، والسماح للحزب على الأقل بالمشاركة فيها. ولأن إيران لا تملك سلاحًا جويًا متطورًا مقارنة مع "إسرائيل"، وتجد صعوبة في إرسال قوات لربما تكون فريسة للقوات الجوية الإسرائيلية في الطريق، فإن الحرب قد تقتصر على الضربات الصاروخية المتبادلة. وإن اقتصرت الحرب على الضربات الجوية الصاروخية، ستكون مشاركة "حزب الله" فيها مرتفعة، لكن الاستخدام المكثف للقوة الجوية الإسرائيلية سيظهر نقاط الضعف المتبادلة بين البلدين، بحسب تحليل "جيروزاليم بوست".

وستجعل الحرب الجوية الموانئ الإيرانية، التي تعتبر عصب التجارة والتصدير، مكشوفة للإسرائيليين، ممّا ينذر بوقف تصدير النفظ والغاز، واستيراد البضائع من الخارج. وقال هيليل: "الحرب إن وقعت ستكون مدمّرة للغاية، ليس فقط لإسرائيل وإيران، بل للدول المجاورة أيضا. فقد تهاجم "إسرائيل" المطارات في لبنان وسوريا وحتى العراق، لمنع تحرك القوات والمعدات العسكرية الإيرانية".

في الخلاصة يمكن القول انه برغم التصعيد الأخير ل "إسرائيل" في سوريا بسبب اقتراب دائرة الحرب من الحدود الشمالية للأراضي المحتلة وتضرّر المصالح الإسرائيلية في الساحة السورية، لكن لا يبدو مشهد الإنخراط المباشر في مواجهة التهديدات حاضرا في الخيارات المنظورة. ف"إسرائيل" لا تسعى إلى الصدام والحرب وتمتنع عن خوض الحرب خاصة لجهة الإشتباك مع الإيرانيين في سوريا أو مع الجيش السوري، فهنالك روسيا وتعقيدات الوضع في ترتيب المواقف والأهداف معها. ولهذا هنالك عدة خيارات لتحديد الموقف الإسرائيلي في سوريا تتمحور جلّها إزاء إيران، فالمشكلة الأساسية لا تكمن في صراع المصالح بين "إسرائيل" وإيران فحسب، بل في مستقبل تعارض الخيارات بينهما، فالإيرانيون يريدون تثبيت تواجد عسكري تابع لهم في سوريا وخاضع لسلطتهم، و"إسرائيل" مصمّمة على منع تحقيق هذا المشهد. وضمن هذا الإطار لا تريد إسرائيل المغامرة بالتعرض لمخاطر الحرب حاليا، وتعمل من أجل منع حدوث تراجع إستراتيجي في حساباتها السورية ما يجعلنا نتوقّع سلوكها النمطي، فمن غير المتوقع أن تتحرك إسرائيل عسكرياً في سوريا لكنها قد تلجأ إلى عدة خيارات لمنع إيران من إمتلاك قوة تقليدية فيها:

١- الخيار العسكري المحدود: إذ ستعمل "إسرائيل" على تحقيق صدع وشقاق بين الرئيس بشار الأسد والإيرانيين، لأن بقاء تحالفهما مقلق للمصالح الإسرائيلية، التي تدرك أن الرئيس السوري ليس من مصلحته خوض حرب معها في هذه المرحلة، فهي ترى أن الأسد خصم عقلاني بالإمكان توقّع سياساته تجاهها، كما

أن الأسد لا يريد خسارة التهدئة في مواقع الإشتباك في الجولان حاليا بسبب إيران لإنشغاله بالحرب ضد الجماعات الإرهابية، ولهذا تتفهم "إسرائيل" هذه الفرضية، فهي قد لا تركز على استهداف الأهداف والأصول الإيرانية داخل سوريا، لكنها ستشنّ هجمات ضد المصالح والأصول المهمة السورية في كل مرة تهدّد إيران "إسرائيل"، وهنا ستخلق تل أبيب شقاقاً وخلافا وتوترا بين نظام الرئيس بشار الأسد وإيران، وتأمل أن تنحاز روسيا إلى الأسد لعزل إيران. فهي قد تدخل في احتكاكات ولو بشكل جزئي، دون الإنزلاق في حرب شاملة.

٢- الخيار السياسي الدولي: المتعلّق بحراك حكومة نتانياهو ضد البرنامج النووي الإيراني، رغم أن نتانياهو أُصيب بالإحباط من جراء عدم الحسم الأمريكي ضد النفوذ الإيراني الواسع في سوريا لكنه يتفهم أن الولايات المتحدة تريد إعادة النظر في الإتفاق النووي المبرم بين إيران والدول الكبرى، من أجل إضافة تعديلات جديدة على الإتفاق منها: منع إيران من تصنيع صواريخ طويلة المدى. ومنع القوات الإيرانية من التواجد في سوريا، على أن يصبح هذا المطلب بنداً ملزما في الإتفاق النووي مع إيران، ذلك لأن نزع الصواريخ الإيرانية من سوريا، تعد أكثر إلحاحاً من الموانع المفروضة على إنتاج إيران صواريخ جديدة. ويندرج ضمن هذا الخيار تحفيز إسرائيلي لتفاهم أمريكي- روسي، حيث يتعيّن على "إسرائيل" إقناع الولايات المتحدة، لتكون أكثر تفهّماً ومرونة تجاه روسيا واحتياجاتها، خاصة ما يتعلق بالعقوبات الغربية المفروضة عليها، وفي المقابل يتم الحصول على موقف روسي أكثر تعاوناً وإنحيازا لتل أبيب تجاه الملف الإيراني في سوريا، وهذا ما عمل عليه نتانياهو في زيارته الأخيرة قبل مدة لواشنطن.

٣- الخيار السياسي الإقليمي: وهذا يخصّ لبنان، الذي تراه تل أبيب أكبر تهديد مباشر لها، المتمثل بإمتلاك حزب الله عشرات الآلاف من الصواريخ الجاهزة للإنطلاق نحو تل أبيب ووفق هذه الرؤية، لابد من زيادة حدّة التهديدات تجاه حزب الله لمنعه من الإنخراط في حرب ضد تل أبيب، وعلى هذا الأساس يترتّب على تل أبيب أن توضح للإيرانيين بأن إطلاق الصواريخ من لبنان سيؤدي إلى خوض تل أبيب حربا شاملة ضد لبنان واستهداف كامل الأراضي اللبنانية، كما أن لا أحد من الفاعلين الدوليين والإقليميين يريد تدمير لبنان، لا روسيا ولا الولايات المتحدة ولا فرنسا ولا السعودية ولا إيران ولا سوريا. وهنا ستعمل إسرائيل على تكثيف هذه التهديدات وبث رسائل التصعيد التي هي أساسا مخاوف معتمدة على تأثير ونفوذ هذه الدول من

أجل ضبط خيارات الوضع في لبنان، وتهدئة حزب الله وكلما هدأت الساحة اللبنانية تتفرغ تل أبيب لحصار إيران في سوريا.

٤- الخيار الداخلي: المتمثل في تثبيت أوضاع الإستقرار مع حماس في غزة وهذا خيار نلمسه الآن وتراه تل أبيب بعدة توجهات تعمل عليها في قطاع غزة، فتل أبيب تريد التركيز على الحدود الشمالية المحتلة في محاذاة سوريا، ما يعني عدم الإنخراط في صراع مع حماس داخل القطاع، بل تحسين الوضع الإقتصادي في غزة، حتى ولو من خلال حكومة حماس، وهذه السياسة تعمل على تمييع المصالح الإيرانية مع حماس وتؤدي إلى تركيز المواجهة نحو سوريا لمنع سيناريو التموضع الإيراني الذي تعدّه تل أبيب أخطر سيناريو يمكن أن يهدد أمنها ويقوي ساحة حزب الله وحماس ويزيد المخاطر.

٩- خلاصة:

في تقريرٍ مطوّلٍ لتوماس فريدمان في صحيفة النيويورك تايمز، اعتبر الكاتب الأميركي أن سوريا ستنفجر، إلا أن الانفجار هذه المرة سيكون حرباً مباشرة بين إيران و"إسرائيل". ويكتسب هذا التحليل بعض المصداقية، في ظل التهديدات التي أطلقتها إيران عبر أكثر من مسؤول عسكري وسياسي بأن الرد آت، وبشكل مباشر ومن دون وسائط. ولأول مرة في التاريخ، بدأت إسرائيل وإيران بتبادل الضربات بشكل مباشر في سوريا دون وكلاء، بحسب ما أكد فريدمان.

وتابع قائلاً: "إن الحرب المباشرة التي لا يمكن احتواؤها، والتي هي بصدد الحدوث بين إسرائيل وإيران، هي على الأرجح الأكثر إثارةً للقلق لأنها قد تكون على وشك المرور إلى الجولة الثانية.فقد انطلقت الجولة الأولى من هذه الحرب في العاشر من شباط من هذا العام، عندما أُسقطت طائرة من دون طيار إيرانية أطلقتها وحدة فيلق القدس التابعة للحرس الثوري انطلقت من القاعدة الجوية السورية "تي ٤"، في منطقة واقعة شرقي حمص وسط سوريا، بواسطة صاروخ من طائرة مروحية إسرائيلية من طراز أباتشي كانت تقتفي أثرها منذ أن اخترقت المجال الجوي الإسرائيلي. وبعد ذلك، شنّت الطائرات الإسرائيلية غارة صاروخية على القاعدة الرئيسية للطائرات من دون طيار الإيرانية "تي ٤".

وفي هذا السياق، نقل فريدمان عن مصدر عسكري إسرائيلي قوله "كانت تلك أول مرة نهاجم فيها أهدافا إيرانية حيّة، سواء تعلق ذلك بالمرافق أو الأشخاص". كما نقل فريدمان عن مسؤولين عسكريين إسرائيليين تأكيدهم أن "إسرائيل" لن تقترف الخطأ ذاته الذي ارتكبته في وقت سابق في لبنان، وذلك عندما سمحت لحزب الله بأن يتحول إلى تهديد كبير هناك، فضلاً عن أن تسمح لإيران بالقيام بالأمر ذاته بصفة مباشرة على الأراضي السورية. وتشير التطورات المتسارعة في سوريا إلى بروز منطق جديد في نمط المواجهة بين "إسرائيل" وإيران. ففي تطور مهم ولافت، أسقطت الدفاعات الجوية السورية مقاتلة إسرائيلية قصفت أهدافا عسكرية داخل سوريا، وسرعان ما اتّهمت "إسرائيل" إيران بإسقاط الطائرة، وتنامى الحديث عن منطق المواجهة الجديد الذي يتجاوز حروب الوكالة، وعلى الرغم من حرص الجانبين وكافة الأطراف الدولية والإقليمية على التهدئة وعدم التصعيد، فإن حقبة جديدة من الصراع برزت في المنطقة، لكنها بعيدة عن منطق المواجهة الشاملة نظرا للكلفة الباهظة والعواقب الخطيرة.

يستند منطق المواجهة بين إيران و"إسرائيل" إلى قناعة إسرائيلية بأن الاستراتيجية الأميركية المتعلقة بإيران قاصرة ولا تتوافر آليات فاعلة للحدّ من النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط عموما وفي سوريا خصوصا، فالاستراتيجية التي وضعها فريق الأمن القومي للرئيس الأميركي دونالد ترمب للتصدي لإيران تتضمن، بحسب رأيها، مجموعة من العناصر الأساسية تقوم على: "تحييد التأثير المزعزع للاستقرار للحكومة الإيرانية وكذلك تقييد عدوانيتها، وبخاصة دعمها للإرهاب والمسلحين"، وإعادة تنشيط التحالفات الأميركية التقليدية والشراكات الإقليمية كـ "مصد ضد التخريب الإيراني واستعادة أكبر لاستقرار توازن القوى في المنطقة" على حدِّ زعمها، وحرمان النظام الإيراني، وبخاصة الحرس الثوري، من تمويل "أنشطته الخبيثة" ومعارضة أنشطة الحرس الثوري، ومواجهة تهديدات الصواريخ الباليستية والأسلحة الأخرى الموجهة ضد الولايات المتحدة وحلفائها، وحشد المجتمع الدولي لإدانة ما أسمته "الانتهاكات الجسيمة للحرس الثوري لحقوق الإنسان واحتجازه لمواطنين أميركيين وغيرهم من الأجانب بتهم زائفة"، وحرمان النظام الإيراني من المسارات المؤدّية إلى سلاح نووي.

كل هذه العناصر تتّفق مع التوصيف الإسرائيلي، وهي تستند إلى مبررات وذرائع عدّة، فبحسب البيت الأبيض إن حكومة طهران تشكّل تهديدات للمصالح الأميركية وللاستقرار الإقليمي، ومن بين أبرز هذه التهديدات: "السلوك المتهور للنظام الإيراني، وبخاصة الحرس الثوري، واستغلال النظام الإيراني الصراعات

الإقليمية لتوسيع نفوذه الإقليمي «بالقوة وتهديد جيرانها»، وتطوير الصواريخ الباليستية وانتشارها، والدعم المادي والمالي للإرهاب والتطرف»، ودعم «الفظائع التي يرتكبها نظام الأسد ضد الشعب السوري، والعداء تجاه إسرائيل، والتهديد المستمر لحرية الملاحة البحرية وبخاصة في الخليج، والهجمات الإلكترونية ضد الولايات المتحدة وحلفائها".

لا شك بأن استراتيجية ترامب النظرية تتماهى مع الطرح الإسرائيلي، فقد عكفت واشنطن منذ تدخّلها في المنطقة في إطار بحثها عن حل إقليمي للصراع الفلسطيني الإسرائيلي على حشد جبهة موحّدة تضم "إسرائيل" وما يسمى "القوى العربية السنّيّة" في وجه إيران عدو واشنطن و"إسرائيل" اللدود، الأمر الذي دفع بنيامين نتنياهو إلى تقديم اقتراح بتبنّي «مقاربة إقليمية» لإنهاء صراع الشرق الأوسط، حيث أشاد بما وصفها "فرصة غير مسبوقة تتمثل في تخلّي بعض الدول العربية عن اعتبار إسرائيل عدوا"، بل صارت ترى فيها حليفا في مواجهة إيران وداعش، القوتين التوأمين في الإسلام /المتطرف/ واللتين تهددان الجميع".

وتتوافق الرؤية المشتركة للمشروع الأميركي الإسرائيلي بترتيبات «صفقة القرن»، التي تقوم على تصفية القضية الفلسطينية، وإدماج "إسرائيل" في المنطقة من خلال تأسيس تحالف أميركي إسرائيلي مع بعض دول المنطقة تحت ذريعة مواجهة الخطر المشترك المتمثل بالمنظمات الإرهابية والجمهورية الاسلامية الإيرانية، على حد قولها.

أخيرا لا جدال بأن إسرائيل كانت الأكثر سعادة بقدوم إدارة ترامب ورحيل أوباما، نظرا للتباين الشديد في رؤية الرجلين لإيران ودورها في المنطقة، فأوباما أنجز الاتفاق النووي مع إيران ونظر إليها كعامل استقرار، بينما ترامب لا يدع مناسبة للحديث عن الخطر الإيراني المزعزع للاستقرار، فبحسب دينيس روس: "قد لا تكون أسهم الرئيس دونالد ترامب مرتفعة للغاية في الولايات المتحدة، لكن كل من أمضى مؤخراً بعض الوقت في "إسرائيل" أو السعودية، كما فعلتُ أنا، يمكنه أن يشهد أن الرئيس الأميركي هو من المفضلين في أوساط قادة هاتين الدولتين الشرق أوسطيتين". لكن المشكلة بالنسبة ل "إسرائيل" لخّصها دينيس روس في عنوان مقالة في مجلة «فورين بوليسي»، وهو "ما يقوله ترامب بشأن إيران هو مجرد كلام"، "إذ يشعر جميع أولئك الذين تحدثتُ إليهم بأن الولايات المتحدة تنازلت عن سوريا لصالح روسيا، تاركةً "إسرائيل" للتعامل بمفردها مع الوجود الإيراني هناك. وبطبيعة الحال، يعتقد هؤلاء أنه لو كانت الولايات المتحدة مهيأة للإشارة إلى استعدادها

لوضع حدّ للتوسّع الإيراني في سوريا، فإن السلوك الروسي قد يتغيّر أيضاً–ولكن على الرغم من تركيز خطاب وزير الخارجية الأميركي ريكس تيلرسون بشأن سوريا على مواجهة إيران، إلّا أنّ مسؤولي الأمن الإسرائيليين الذين تحدثتُ معهم لم يروا أي مؤشر على أن الإدارة الأميركية ستقابل أقوالها بأفعال. وفي هذا السياق تنظر "إسرائيل" إلى أن الإجراءات العملية للولايات المتحدة ضد إيران في سوريا لا يمكن أن تُفضي إلى الحدّ من نفوذها، وكان آخرها توجيه ضربة عسكرية دفاعية ضد قوات تابعة للنظام السوري، ما أدّى إلى مقتل أكثر من مئة مقاتل من الموالين للنظام بعدما باشروا بشن "هجوم غير مبرر" ضد مقر قوات سوريا الديمقراطية الذي كان بعض المستشارين الأميركيين يعملون فيه مع مقاتلين تدعمهم واشنطن. وقد شهدت المواجهة بين أميركا وإيران في سوريا تصعيداً محدوداً ومحسوباً لا يرقى إلى المستوى الذي ترغب فيه "إسرائيل". ففي ١٨ أيار الماضي ضربت المقاتلات الأميركية رتلاً عسكرياً للحشد الشعبي أثناء تقدمه نحو القاعدة الأميركية، والتي كانت تهدف إلى تطويق قوات التحالف وعزلها على الأرض، وبعد الحادثة بأيام، قامت القوات الأميركية بإسقاط طائرة إيرانية مسلحة بدون طيار قالت الولايات المتحدة أنها كانت تهاجم مقاتلين أميركيين وآخرين من قوات المعارضة في منطقة التنف، وقد برهنت تلك التحركات والحوادث على استعداد "فيلق القدس" لمواجهة نفوذ الولايات المتحدة في سوريا، كما ظهر جليا في ١٩ حزيران الماضي عندما أعلنت القوات الأميركية عن إسقاطها طائرة إيرانية بدون طيار بالقرب من قاعدة التنف.كذلك لم تنقطع الرسائل والمواجهات المحدودة بين أميركا وإيران في سورية في مناطق أخرى، فقد ظهرت ساحة جديدة للمعركة على طول وادي نهر الفرات، ففي ١٨ حزيران الماضي، هاجمت طائرة مقاتلة سورية قوات مدعومة من الولايات المتحدة جنوب مدينة الرقة، وهي منطقة تقوم القوات السورية فيها بدعم العمليات العسكرية التي يقودها «فيلق القدس»، الأمر الذي دفع القوات الجوية الأميركية إلى إسقاط الطائرة، وهو أمر استدعى بعث رسالة إيرانية شديدة، حيث شنّت إيران هجمات بالصواريخ الباليستية على أهداف قالت أنها تابعة لتنظيم «الدولة الإسلامية» في الوادي، ومن ضمنه مدينة دير الزور، معلّلةً ذلك بالانتقام من الهجمات التي نفّذها التنظيم على طهران، لكن الحقيقة أن الهجمات الصاروخية كانت تستهدف جميع خصومها، وفي مقدّمتهم الولايات المتحدة وحلفاؤها".

خلاصة القول أن "إسرائيل" تدرك تماماً صعوبة ومخاطر الدخول في مواجهة شاملة مع إيران بمفردها، ولذلك فإنها تعمل على دفع الولايات المتحدة إلى تبنّي استراتيجية أكثر صرامة ضد إيران في سورية، التي

تحوّلت بحسب التصورات الإسرائيلية إلى منطقة نفوذ إيراني، وساحة رئيسة للحرس الثوري وفيلق القدس الإيراني وفصائل المقاومة التابعة لها في مناطق عدة، ولا شك بأن إسقاط الطائرة الإسرائيلية يعطي صورة واضحة وجليّة عن حجم وحدود أي مغامرة إسرائيلية، وبهذا فإن مواجهة شاملة أصبحت أبعد على المدى القريب، لكن نذر الحرب تبقى تلوح في الأفق.